في ندوة بمكناس حول «الفلسفة وحوار الحضارات»

الحوار يفترض التواصل ويبطن صراع المعاني والقيم

احتضنت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس ندوة علمية في موضوع «الفلسفة وحوار الثقافات» يوم 16 نونبر الجاري. وقد تناولت الندوة، التي أشرفت شعبة الفلسفة على تنظيمها، قضايا إنسانية تتمحور حول التعايش والتواصل بين الثقافات، انطلاقا من رؤية فلسفية تجعل من فلسفة «هايدجر» مرجعا فكريا لها، ومن أفكار البروفيسور النمساوي «هانس كوكلر»، ومن دراساته الميدانية، نموذجا حيا لها. وقد شارك الطلبة بفعالية ونشاط في أشغال الندوة من خلال أسئلتهم المقلقة التي طرحت، بالخصوص، على «كوكلر»، الذي حضر إلى مكناس رفقة الباحث والمترجم المغربي حميد لشهب.

هانز كوكلر

هايدجر

استهل أشغال الندوة أستاذ الفلسفة محمد الأندلسي، رئيس الشعبة بالكلية، بمحاضرة تناول فيها ثلاثة عناصر فكرية أساسية: الطابع الكوني للثقافة في الفترة المعاصرة، مفهوم الحوار بين الثقافات، وأهمية الفلسفة ودورها في رعاية الحوار بين الثقافات.

فيما يتعلق بالعنصر الأول، أشار الأندلسي إلى التغيير الجذري، الذي طال القبلة التي كانت تتوجّه نحوها الثقافة. فبعد أن كانت، إلى حدود النصف الأول من القرن العشرين، تنزع إلى البحث عن الهوية بوصفها سمات وخصوصيات تميز ثقافة ما عن الثقافات الأخرى، صارت قبلة الثقافة اليوم –وبصفة خاصة بعد نهاية الثمانينيات– هي الكونية التي تجذب كل ثقافة إلى تيارها. وهي كونية أحادية القطب تسودها الشمولية والمجانسة والتنميط، كونية انهارت معها كل الحدود والمعالم والمرجعيات، ومعها كل الهويات المغلقة والتمايزات الثقافية. في ظل هذا التوجه الكوني، ستتغير مفاهيم الهوية والخصوصية والأصالة، كما يقول الأندلسي، حيث ستنتقل من معناها التاريخي أو الإثني أو الديني ليس باتجاه كونية أحادية وشمولية، بل باتجاه سعي الثقافة إلى التشكل في «شبكات» أو «خطوط مقاومة» تمكّنها من الانفلات من منطق التنميط والمجانسة الذي صار يتحكّم في العالم. لقد بدأت الثقافات اليوم تعلي من شأن الاختلاف والتعدد ليس من أجل الانعزال والتقوقع، بل كآليات للتقريب بين الثقافات وتحصينها ضد مخاطر التقليد والجمود والتكرار.

في العنصر الثاني المتعلق بمفهوم الحوار الثقافي، أكد الأستاذ على أنه بالرغم من أهمية «إيتيقا التواصل» لدى كل من «يورغن هابرماس» و«أوطو آبل»، فإن آليات التواصل المنطقي ومبادئ الأخلاق غير كافية لتحديد مفهوم الحوار، لأن الحوار يبطن صراعا يجعل منه حربا تخاض على مستوى الكلمة والمعنى والفكرة والقيمة. ومن هنا فـ «حوار الثقافات» يشكل، في نظر الأندلسي، «حربا» مجالها الثقافة، ورهانها الهيمنة والإخضاع، وآليتها «استراتيجية التسمية» بما هي تحكم في «علامات» الخطاب. كما أن الصراع اليوم ليس صراعا بين ثقافتين تتنازعان الهيمنة على العالم، كما يذهب إلى ذلك «صامويل هانتنغتون» في كتابه «صراع الحضارات»، من قبيل الصراع بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق، أو بين الثقافة العلمانية والثقافة اللاهوتية، بل هو صراع بين توجّهين يوجدان داخل الثقافة الواحدة، إنّه التوجّه نحو الانغلاق، أو نحو الانفتاح. لهذا لا يمكن إرجاع أزمة الحوار بين الثقافات إلى الاختلاف الموجود بينها، بل هي أزمة لها علاقة بما يطلق عليه «نيتشه» «مقدار الحرية والجرأة التي تسمح بهما الثقافة داخلها». في هذا السياق، يرى الأندلسي أن ثمة ثلاثة شروط لتفعيل الحوار بين الثقافات: أوّلها، ضرورة التحرر من فكرة الأصل الطاهر. ثانيها، الاعتراف بالآخر كآخر مختلف عن الذات. وثالثها، تحرير مستقبل الثقافات من كلّ «غائية» بما في ذلك «المخططات والتصاميم الحسابية المسبقة».

وفي العنصر الأخير المتعلق بأهمية الفلسفة ودورها في رعاية الحوار بين الثقافات، قال المحاضر إن «الفلسفة» لا تختزل في «محبة الحكمة»، أو في «الحوار الذي يكون أساسه مبادئ العقل والمنطق»، كما أنها لا تتوخى البحث عن «الحقيقة» بهدف «خلق التفاهم» و«تحقيق التواصل». بل يجب التشديد، كما يرى الأندلسي، على روح النقد والتشكك والتوجس للفكر الفلسفي، التي تتمثل في تقوية حس الاختلاف وأخذ المسافة اللازمة من الذات. إنّ هذا ما تجليه تجربة «الحوار الفلسفي» عبر «تاريخ الفلسفة». هنا يستشهد المحاضر بمثالين من تجربتين ثقافيتين مختلفتين «روحا» وتاريخا، هما على التوالي: تجربة «الحوار الفلسفي» في الثقافة الغربية القديمة اليونانية، منها (محاورات أفلاطون)، وتجربة «الحوار الفلسفي» داخل الثقافة العربية الإسلامية في القرون الوسطى (حوار الغزالي وابن رشد). فالحوار هنا بما هو محاولة للإقناع والاقتناع بهدف التقريب بين المتحاورين، يختفي ويتوارى، كما يقول الأندلسي، لكي يترك مكانه للتكفير والتجديف والتبديع؛ أي لكي يحلّ محلّه «إرهاب ديني»، يروم ليس ترهيب الخصم وشل قدرات الحوار لديه، بل إنّه يتجاوز ذلك إلى استباحة دمه. يتساءل الأندلسي قائلا: «ألم ينته «الحوار الفلسفي» في كلا التجربتين اليونانية والإسلامية إلى التنكيل بالفلسفة والفلاسفة؟ بلى، لقد كان مصير سقراط الإعدام، وكان مصير ابن رشد إحراق كتبه وإرهابه واضطهاده.

يخلص الأندلسي إلى أن الموقف الفلسفي يشتغل، حينما يفهم كـ «مقاومة»، ضد كلّ ما يرسخ «الطابع القطيعي للثقافة». إذ يؤكّد على أنه في «أساس كل تفاهم»، يتوارى «سوء تفاهم أصلي». ومن هنا، سادت الفكر المعاصر، حسب تصوره، «نزعة توجّسية» تنطلق من «سوء نية» أصلية لا تسعى إلى التفريق بين المتحاورين، بل إلى التقريب بينهم من خلال إبعاد كل طرف عن ذاته.

كوكلر: "هايدجر"، وبالرغم من كون نقده منصب على الإنسان وكينونته، لم يهتم، اهتماما مباشرا، بالسياسة، بحيث لم تكن نتاجاته الفلسفية في هذا المجال إلا "نتاجا جانبيا"، سواء أثناء تأملاته في الكينونة والوجود، أو في الميتافيزيقا الغربية الكلاسيكية.

وبدوره استهل البروفيسور النمساوي «هانس كوكلر» محاضرته، التي تتمحور حول راهنية «هايدجر»، والتي رافقها الباحث حميد لشهب بالترجمة الفورية إلى العربية، بإقرار عام مفاده أن النزعة المثالية اليسارية القائمة على المركزية الأوروبية أخفقت إخفاقا واضحا، وذلك مرده إلى «الفراغ الإيديولوجي»، الذي لم تستطع الليبرالية أن تملأه. في هذا السياق، أكد «كوكلر» أن الفلسفة السياسية الغربية الراهنة، كما تعبر عنها الديمقراطية التمثيلية، تتجاوز حرية المواطن إلى نظرية أوليغارشية مثالية، مشيرا إلى أن النظريتين الماركسية والليبرالية لا تعبران عن الشروط الميتافيزيقية لنظام ممارسة السلطة، باعتبار أن التفكير في هذه الأوليغارشية يبقى مغيبا، أو مهمشا. غير أننا نجد أن «هايدجر»، كما يرى «كوكلر»، يرفض إشكالية الدور المجتمعي للفلسفة، لأن «المجتمع الحالي ما هو إلا تعميم للذاتية الحديثة».

من هذا المنطلق، يكمن تصور «هايدجر» للنقد المجتمعي، كما يقدمه لنا «كوكلر» في محاضرته، في «نقد اتجاه إرادي أحادي الجانب لتجربة/ معرفة الواقع على المستوى الفردي والجماعي، وهو بالخصوص نقد ادعاء القوة/ الإرادة للوجود في العالم عن طريق القوانين الخاصة، التي تزج بالفرد في الذوبان في المجتمع، ليصبح مجهولا». في هذا السياق يبدو أن «هايدجر» يصل، بتفكيره في الحضارة التقنية وتنظيمها المجتمعي وشكلها السياسي، إلى خلاصة مفادها أن الغاية تكمن في تحرير الإنسان من إسار الشروط الميتافيزيقية للماضي/ تاريخ الكينونة، وكذا من وصاية أشكال التنظيم الاجتماعي التقني الحديث.

«حوار الثقافات» يشكل، في نظر الأندلسي، «حربا» مجالها الثقافة، ورهانها الهيمنة والإخضاع، وآليتها «استراتيجية التسمية» بما هي تحكم في «علامات» الخطاب. كما أن الصراع اليوم ليس صراعا بين ثقافتين تتنازعان الهيمنة على العالم

إن الفهم الذي يطرحه «هايدجر» لواقع الإنسان المعاصر، حسبما يراه «كوكلر»، هو فهم يروم الوقوف عند إشكالية تاريخ الكينونة في حد ذاته. إذ يتموضع هذا المفكر الألماني، في هذا التصور، خارج الثنائية التقليدية، اليمين واليسار، التي يعتبر أنها فقدت بريقها وقوتها التبريرية مع التطورات السياسية العالمية، وكذا الانقلابات الإيديولوجية التي تعقبها. وهنا ينفتح «هايدجر»، كما يقول البروفيسور النمساوي، على الإرث اليوناني والمسيحي الغربي، كما انفتاحه على نماذج فكرية غير غربية في أعماله المتأخرة. وتتمثل ميزة هذا الانفتاح في النقد العميق للتقنية والسلطة الغربية؛ ذلك أنه يعتبر أن نقد شكل التفكير هو، في الآن ذاته، نقد لأسلوب الحياة. في هذا الباب، يعتبر «كوكلر» «هايدجر» هو «المفكر الحقيقي لفلسفة ما بعد الحداثة بنقده الجذري لمفهوم الذات».

من جهة أخرى، يعترف «كوكلر» أن «هايدجر»، وبالرغم من كون نقده منصبا على الإنسان وكينونته، لم يهتم، اهتماما مباشرا، بالسياسة، بحيث لم تكن نتاجاته الفلسفية في هذا المجال إلا «نتاجا جانبيا»، سواء أثناء تأملاته في الكينونة والوجود، أو في الميتافيزيقا الغربية الكلاسيكية. إذ كانت الغاية من هذا التفكير، هو التوجه نحو بناء معرفة كينونة غير سلطوية تنأى بنفسها «حماقات التقنية». وتتأسس هذه الغاية على نقد الفهم البراغماتي للسياسة (أي التقنوقراطية)، وهو فهم لا ينظر إلى الإنسان، إلا من زاوية السيطرة عليه، كما تقوم على نقد كل عملية تضفي الشرعية على ممارسة سلطة «إرادة القوة»، التي يعتبرها «نيتشه» أساس الميتافيزيقا الغربية.

◄ **محمد جليد**

أ أخبار ثقافية

ترتيب وتصنيف نحو 160 بناية تاريخية

أكد وزير الثقافة السيد بنسالم حميش،يوم الثلاثاء الماضي، أنه تم خلال العشر سنوات الأخيرة ترتيب وتصنيف ما يناهز 160 بناية تاريخية وموقعا أركيولوجيا، تراثا وطنيا، وعشر مدن ومواقع أثرية تراثا عالميا.

وأضاف السيد حميش في معرض رده على سؤال شفوي بمجلس المستشارين حول «حصيلة الوزارة في ما يخص صيانة المآثر والمعالم التاريخية»، أن الوزارة استكملت هذه السنة ترتيب كل من موقع الدشيرة بالرباط وحديقة جنان السبيل بفاس في لائحة التراث الوطني، وأنها الآن بصدد إجراءات ترتيب كل من مدينتي تازة وفكيك والمدينة العتيقة للدار البيضاء في التصنيف الوطني.

وفي ما يخص التراث العالمي، أكد السيد حميش أنه تم هذه السنة وضع الملف الخاص بإدراج مدينة الرباط ضمن لائحة التراث العالمي لدى مركز التراث العالمي، الذي من المنتظر أن يتم الحسم فيه بتصويت لجنة التراث العالمي بداية سنة 2012.

وفي ما يتعلق بالحماية المدنية، قال وزير الثقافة إنه تم برسم السنة المالية الجارية تخصيص ما يزيد عن 40 مليون درهم لترميم وتهيئة عدد مهم من المعالم والمباني بجل ربوع المملكة، ومن أهمها قصرا الباهية والبديع بمراكش ودار الحاكم بأزمور ومخازن جماعية بسيدي إفني وبني ملال وأكادير، إضافة إلى إحداث محافظات بكل من موقعي تمودا بتطوان والقصر الصغير بطنجة.

وبخصوص جرد المعالم التاريخية، أكد أن الجهود المبذولة أسفرت عن جرد ما يزيد عن 20 ألف موقع وبناية أثرية، مشيرا إلى أن عمليات الجرد همت في السنوات الأخيرة أقاليم طاطا واشتوكة أيت باها وسطات والحوز والعرائش ومنطقة سوس تكنة.

وتعزيزا لهذه الجهود، يضيف السيد حميش، أبرمت الوزارة اتفاقيات مع وكالة إنعاش الأقاليم الشمالية والمتعلقة بترميم بعض المعالم التاريخية بمدينة طنجة، وكذا اتفاقيات خاصة بحماية مواقع النقوش الصخرية والمبرمة مع كل من جماعة أمكالة وجماعة سيدي أحمد لعروسي بإقليم السمارة وجماعة أداي–تغجيجت بإقليم كلميم وجماعتي تنزولين وأيت واعزيق بإقليم زاكورة.

وخلص وزير الثقافة السيد بنسالم حميش، إلى أن الوزارة ستواصل جرد وصيانة وتأهيل التراث الوطني بمختلف ربوع المملكة من خلال ما يرصد من اعتمادات في هذا الباب ومن خلال علاقات الشراكة والتعاون المتاحة.

اكتشاف بقايا بشرية بمغارة قرب الدار البيضاء

تم مؤخرا، خلال عملية إزالة عظام المستوى السفلي بمغارة وحيد القرن بمقلع اولاد احميدة 1 بالدار البيضاء، العثور على بقايا بشرية تعود إلى نحو 450 ألف سنة.

وأوضح كل من عبد الرحيم مهيب، من وزارة الثقافة والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، وجان بول راينال، من المركز الوطني للبحث العلمي جامعة بوردو 1، أنه عثر على ناب بشري مع بقايا حيوانية لوحيد القرن الأبيض، منها جماجم مكتملة وبقايا حيوانات عاشبة وأخرى لاحمة.

وأضاف الخبيران، في بلاغ توصلت به وكالة المغرب العربي للأنباء، أن فريق التنقيب عثر أيضا على أدوات حجرية منحوتة تعود إلى العصر الأشولي، مبرزين أن هذه البقايا البشرية هي الأولى التي يعثر عليها بهذا الموقع، وأن هذا الاكتشاف هو ثمرة جهود حثيثة منذ عام 1988 في إطار التعاون المغربي الفرنسي في مجال الآثار.

وذكر المصدر ذاته بعثور الخبراء سنة 1972 في مغارة أخرى بمقلع اولاد احميدة 1 على بقايا ترجع لـ«إنسان روديسيا»، مشيرا إلى أن هذه الأحفورات تشكل مع تلك التي عثر عليها بسيدي عبد الرحمان وتوماس المفتاح الرئيسي لمعرفة تاريخ الاستقرار البشري في المغرب العربي.